

## عرض وتحليل رحلة اللقيمي إلى القدس "موانح الأنس في زيارتي لوادي القدس"

نشر في مجلة الإسراء عدد ٥٥

عمار توفيق أحمد بدوي / مفتي محافظة طولكرم

اللقيمي، أديب مرهف الحسّ، وشاعر مطبوع، ومؤرخ مشهور، ورّحالة، طوّف في الآفاق، وفارق بلده، يجوب المدائن، ويطوف على العواصم، انتقى محطّ رحاله، ومحلّ ترحاله، انتقاء البصير، فوجّه جواده، فصهّل به نحو دُرّة المدائن القدس، وثارت أحاسيس فؤاده العاشق لمآذنها، والمحبّ لقبّتها، فطيّر الحبّ فرسه، وألهب ناز الشوق جواده، فوجد في محاربيها الأنس، فناده مناديا، وزار واديا. فكانت فيوض تجلياتها موانح، وعاطر ذكرها سوانح، فتحرك اليراع البليغ بين يديه، كما خفق القلب بين جنبيه، فأمل رحلته الأنيسة، ومشاهداته النفيسة، في كتابه المخطوط، "موانح الأنس في زيارتي لوادي القدس".

هذا هو المخطوط النفيس، عن القدس، الذي سأعرضه للقراء، ولا يغني العرض عن القراءة. فقد صدر كتاب "موانح الأنس في زيارتي لوادي القدس" لمصطفى أسعد اللقيمي الدميّاطي، ت ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م، عن مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات. وقد قام بتحقيق هذا المخطوط، كل من الدكتور مروان قدومي والشيخ عمار توفيق بدوي والدكتور عبد الرحمن المغربي.

والكتاب مخطوط نفيس يُعدّ من روائع ما كتب عن القدس وأكنافها، فهو لرّحالة انطبعت مشاهداته في مخيلته، وفكره، وأفاض بوصفها بقلمه السيل، وذوقه الرفيع، وأسلوبه البليغ، وعبارته الصافية.

فاللقيمي شاعر مطبوع، وأديب مشهور، وصوفي يحرك الشوق قلبه، وتهيم روحه مع حالات روحية، وتجليات من تجليات الوجد الصوفي، كلما لامست تلك المشاهد شغاف قلبه، وطار مع خيالها روحه المرهفة.

واستمرت رحلته سبعة أشهر، وليس ستة كما قال جرجي زيدان. فبدأت من تاريخ ٨/ذو القعدة/١٤٣١هـ، وانتهت بتاريخ ٥/جمادى الأولى/١٤٤٤هـ.

وستشمل دراستي للكتاب المحاور التالية:

١. ترجمة حياة اللقيمي. ٢. التقاريط التي احتفت بكتابه. ٣. الأماكن التي زارها. ٤. العلماء والأعيان والشخصيات التي التقاها. ٥. وصف مجالس العلماء.

التعريف باللقيمي الدمياطي:

اسمه ونسبته: مصطفى بن أحمد بن محمد بن سلامة بن محمد بن علي بن صلاح الدين المعروف بمصطفى أسعد اللقيمي نسبة إلى "لقيم" وهي من قرى الطائف، ثم الدمشقي<sup>(١)</sup> وله نسبة إلى سيدنا سعد بن عبادة الخزرجي<sup>(٢)</sup>.

وهو سبط أحفاد ابن غانم المقدسي<sup>(٣)</sup> الذي يعود بنسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري<sup>(٤)</sup>.

لقبه: يلقب أسعد<sup>(٥)</sup>. وقد ذكر اللقيمي ذلك في قصائده في هذا الكتاب<sup>(٦)</sup>.

مولده: ولد الشيخ مصطفى في مدينة دمياط<sup>(٧)</sup> عام ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م<sup>(٨)</sup>.

نشأته وشيوخه: نشأ اللقيمي في بيت أدب وعلم، وهو من أسرة اشتهرت بالأدب والشعر، وحلو البيان. قال الجبرتي عن اللقيمي وأخوته: "كلهم شعراء بلغاء"<sup>(٩)</sup>.

قال المرادي: "نشأ في كنف والده مع أخويه العالم الأديب الشيخ محمد سعيد والأديب المتقن الشيخ عثمان. وقرأ على جده لأمه العلامة الشيخ محمد الدمياطي الشهير بالبدر، وابن الميت، من أنواع العلوم وبه تخرج ومنه انتفع. وأخذ بالحرمين عن العلماء السراة كالشيخ عبد الله ين سالم البصري المكي، والشيخ الوليدي، وفي المدينة عن أبي الطيب المغربي أحد المشاهير من المحدثين، وقرأ وأخذ عن علماء مصر ودمياط ودمشق وبيت المقدس واستجاز منهم وعمته نفحاتهم"<sup>(١٠)</sup>.

ومن شيوخه الكبار الشيخ مصطفى البكري الصديقي<sup>(١١)</sup>، الذي أخذ عنه الطريقة الصوفية الخلوتية<sup>(١٢)</sup>.

تلاميذه: ذكرت كتب التراجم من تلاميذه: أخويه: الأديب الشيخ محمد سعيد والأديب المتقن الشيخ عثمان، وعليه تخرجوا في سائر الفنون<sup>(١٣)</sup>. ومن تلاميذه العلامة محمد بن عبد الرحمن الكزبري، ت ١٢٢١ هـ<sup>(١٤)</sup>.

رحلاته: كانت الرحلة وما زالت وسيلة من وسائل اكتساب المعرفة، وعلى هذا الطريق سار اللقيمي سيرة العلماء في الرحلة، بل كان رحالة مؤرخاً مشهوداً له. ومن رحلاته: رحل إلى القدس والشام والحجاز<sup>(١٥)</sup>. وحطت به عصا الترحال في دمشق، فتوطنها، ومات فيها.

مكانته بين العلماء: نال اللقيمي منزلة عالية بين العلماء، وتبوأ مقاماً محموداً في عالم الشعر والتاريخ. غير أنه لم يك ذا شهرة كبيرة تتناسب مع قدراته الأدبية.

قال المرادي: "وكانت له اليد الطولى في الأدب ونظم الشعر وعمل التاريخ على سبيل الارتجال، وله رسائل أدبية وتحريرات مفيدة غير أنه كان رحمه الله تعالى مطوياً في راحة الدهر يوم كجمعة وجمعة كشهر وبالجملة فقد كان من أفراد دهره وعصره<sup>(١٦)</sup>."

وقال الجبرتي: "أفضل النبلاء وأنبأ الفضلاء بلبل دوحة الفصاحة وغريدها من انحازت له بدائعها طريفها وتليدها الماجد الأكرم مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي<sup>(١٧)</sup>."

وقال المرادي: "الشيخ العالم الفاضل الفرضي الحيسوب الكامل الأديب الناظم الجهبذ النقاد العابد التقى الماجد الأوحى الزاهد العفيف<sup>(١٨)</sup>. وكان اللقيمي من ندماء أمراء زمانه<sup>(١٩)</sup>."

مؤلفاته: ترك اللقيمي وراءه جملة من الكتب والمؤلفات الدينية والتاريخية والأدبية، ذكرت كتب التراجم منها:

١- لطائف أنس جليل في تحائف القدس والخليل. وهو مختصر لكتاب الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي<sup>(٢٠)</sup>.

٢- موانح الأنس برحلتى لوادي القدس<sup>(٢١)</sup>.

٣- التوصل في شرح الصدر بالتوسل بأهل بدر<sup>(٢٢)</sup>.

٤- شرح ورد الأستاذ شيخه الصديقي البكري<sup>(٢٣)</sup>.

٥- تحائف تحرير اليراعة بلطائف تقرير البراعة. وهو ديوان شعره<sup>(٢٤)</sup>.

٦- رسائل كثيرة في الحساب والفرائض<sup>(٢٥)</sup>.

٧- رسائل أدبية<sup>(٢٦)</sup>.

٨- نشر نفحة الصفاء ببشر الصحة والشفاء<sup>(٢٧)</sup>.

٩- نوافح البديع لبشرى مقدم الربيع<sup>(٢٨)</sup>.

١٠- المدامة الأرجوانية في المقامة الرضوانية<sup>(٢٩)</sup>.

١١- الحلة المعلمة البهيجة بالرحلة المقدسية المهيجة<sup>(٣٠)</sup>.

١٢- سحب الأدب البديع المعاني بسوح روض الآداب البديع الرضواني في مقاماته.

وفاته: توفي اللقيمي يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م ودفن برتبة مرج الدحداح في مقبرة الذهبية تجاه قبر الشيخ أبي شامة رحمه الله، وقبل وفاته بساعات نظم تاريخاً لوفاته ليكتب على قبره وهو قوله:

قبر به من أوثقتَه ذنوبه  
قد ضاع منه عمره ببطالة  
ماذا ثوى قبر اللقيمي أرخوا  
مستمح للعفو أسعد مصطفى<sup>(٣١)</sup>  
وغدا لسوء فعاله متخوفاً  
والعيش فيه بالتكدر ما صفا

### التقاريز التي احتفت برحلة اللقيمي.

احتفى علماء وأعيان القرن الثاني عشر الهجري، برحلة اللقيمي إلى القدس، وعبروا عن عنايتهم بالرحلة، بتلك التقاريز التي دبّجوا بها مقدمة الرحلة، شعراً ونثراً. وتوحي بالتجاذب والانسجام ما بين الرحلة الرائعة وقرائنها. فقرظها أبرز شعراء العصر وأدباؤه، ومُلاك ناصية البيان في وقتهم، وكوكبة نيّرة في ذلك العصر. فنالت رحلة "موانح الأنس" ثمانية تقاريز، من علماء زمانه. قال الشيخ خليل الكاملي يصف الرحلة: "ألا تنظر الدرّ الثمين". ووصفها عبد الله الأدكاوي فقال: "وجدتها كنزاً احتوى على مطالب العجائب وعجائب المطالب". وقال عبد الرحمن البناي: "سّرحت طرفي في هذه الدوحة التي زهت في رياض الفصاحة أفنانها، وأينعت بها البلاغة أغصانها، فألفيتها قيد النواظر، ومستمتع الأسماع ونزهة الخواطر، يفوح من أزهارها شذا النفحات القدسية، ويلوح من أرجائها التجليات القدوسية.

وقال محمد الكردي المقدسي: "ألفيتها جوامع كلم جميلة جليلة المعنى والمبنى".

وقال عبد الله الطرابلسي:

لأسعد مولانا اللقيمي رحلة تفوق نظام الدرّ من نفتحها القدسي  
وسرّح جواد الطرف في روض حسنّها وهاك مغاني الروض من منحة الأنس

### ❦ دوافع الرحلة وملهب شوقها:

الحنين لزيارة المسجد الأقصى المبارك، كان دافعاً لرحلة اللقيمي للقدس، وحديث شدّ الرحال  
حرك القلب والوجدان، لتلك المآذن والقباب، للصلاة في محاريبها وتحت قبابها، وفي ظلال مآذنها.  
قال اللقيمي: "فمن وفد إليه وافته السعادة، ونشرت عليه ألوية السيادة".

ووصف وجدّه وشوقه، فقال: "لعمري طال ما كنت كثير الوجد والولوع، لمشاهدة هاتيك المعالم  
والربوع، وناثراً من الأجفان لآلئ الدموع، فتنظم على الخدين عقيقاً ومرجاناً أتشوّف حينياً  
لرؤياها". وقال: "شرعت في تحيير رحلة بهية تتضمن ما أشاهده من المآثر الزهية ومن ألقية من  
السادة العلماء الصوفية. الحائزين من مظاهر الحقيقة والشريعة عرفاناً، وسميتها موانح الأنس في  
زيارتي لوادي القدس".

### البلدان والقرى الفلسطينية التي زارها، وذكرها:

بدأ اللقيمي رحلته من بلده دمياط بتاريخ ٨/ ذي القعدة / ١١٤٣ هـ، بعد صلاة الظهر، وقال: "د  
دمياط كلمة سريانية، تعني القدرة، وأنّ إدريس عليه السلام هو الذي بناها". وذكر شيئاً من  
تاريخها، وأنّ الصحابي المقداد بن الأسود أوّل من استخلف عليها.

وكانت مدينة رفح أول مدينة فلسطينية يزورها، قال: وهي أول أرض الشام، كما ذكره صاحب مثير الغرام، وزار غزة، واسدود: والرملة، ويبنى، ويافا، ويازور، وصرند وقلونية والقدس والعيزرية والخليل وكفر بريك "بني نعيم" وحلحول وسعير وبيت أمّ، وبيت لحم. ومقام النبي موسى عليه السلام في أريحا، ومقام الراعي. والبقعة ونابلس ومقام إسماعيل، وكفر قريع، ودير قديس وكفار سابا، وحبلة، وكور، وبلاطة، ودير شرف، وجنين، وطبرية. والشام ولبنان وقبرص.

الشخصيات التي ترجم له في رحلته:

#### ١. الأنبياء:

نبي الله إدريس، صالح، إبراهيم، يعقوب، لوط، يونس، العيص، عيسى، داود، وموسى، ذو الكفل، إسماعيل، شعيب، يحيى، هود، عليهم السلام.

#### ٢. الصحابة:

المقداد بن الأسود. الفضل بن عباس رضي الله عنه: دفن في الرملة "فهو من جملة من حلّ بناديها، ودفن بروضة واديها. وسلمة بن الأكوع رضي الله عنه. وسعد بن عباد رضي الله عنه. ودحية الكلبي رضي الله عنه. وأبو الدرداء رضي الله عنه.

#### ٣. الشخصيات التي قابلها في الأراضي الفلسطينية:

قابل العديد من الشخصيات منهم: محمد مكي، والطبيب الرئيس اللوذعي الأديب أحمد الخرش وعبد الله نخلة، وعبد الله قرّة العين، والسيد عبد الله المحب المحبوب. والسيد أحد النجار، والشيخ مصطفى البكري الصديقي، والشيخ محمد الخليلي، ورئيس الخطباء بالمسجد الأقصى نور الله الجماعي، في الخليل: الشيخ صبيح التميمي. والشيخ سليمان الذرواحة. وأحمد المؤقت وعلي الدغستاني وأبو بكر العلمي، والشيخ عبد المعطي الشافعي، وإبراهيم الراي، وإسماعيل النابلسي، والشيخ معتل، والشيخ رضوان والشيخ سلامة يقال إنه من الأبدال، والشيخ حسن شيخ بني صعب، والعلامة السفاريني، ويوسف الطويل، وأبو بكر اطييلة والشيخ محمد أمين الدين والشيخ عبد الرحمن السمان، الشيخ خليل شيخ يازور، والشيخ غنّام، الملا عباس.

#### ٤. تراجم العلماء والصالحين المدفونين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس:

إبراهيم بن علي بن نصر المتبولي. مدفون في اسدود وله مقام فيها. ولقمان الحكيم. يقال قبره في صرند. والعزير. ومريم عليها السلام. والشيخ جراح، الأمير حسام الدين أحد قادة صلاح

الدين الأيوبي. والزاهد أبو عبد الله القرشي. و الفقيه الشيخ شهاب الدين ابن رسلان. وناصر الدين ابن الهمام. و العلامة برهان الدين ابن جماعة. و وشهاب الدين الدجاني. والشيخ المجاهد أبو ثور، دفنوا في القدس. وعلي بن عليل. والشيخ غانم من أجداد اللقيمي،

٥. تراجع للصحابة المدفونين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس:

الفضل بن عباس رضي الله عنه، مدفون في الرملة. و شداد بن أوس رضي الله عنه في القدس و عبادة بن الصامت رضي الله عنه في القدس. و سلمان الفارسي رضي الله عنه في القدس. و تميم الداري رضي الله عنه في بيت جبرين. وصف اللقيمي للمدن والمواقع الفلسطينية، وأثار حبها في قلبه وقلمه.

وصفه غزة: قال: "قصدنا غزة فوافيناها ضحوة النهار، وقد فاح شذا نسيمها المعطار، فإذا هي بحبوحة جنان وللحائم بروض زهورها ألحان". ويقول عن غزة أنها كثيرة المياه، فهي " ذات ظلٍ ظليل، وماء أعذب من السلسبيل، نعوتها وأوصافها متناسقة، وأشجارها كالمحبين متعانقة". ومن الشعر في غزة:

سقى الله غزة وابل السحب إننا نحن لها وجراداً بفرط تشوق  
نزلنا بواديها الأريج بروضة وجدنا بها مالا بمصر— وجلق  
بدوراً وغزلاناً وماءً وخضرةً وألحاناً أطيّارٍ بأفصح منطق  
وطيب نسيمٍ مع زهورٍ تدبجت وكثبان من رملٍ على بحر أزرق

وقال عن جامعها، والظلم الذي نزل فيها: " ونتملى برؤية جامعها، الذي هو للمحاسن جامع، وفلك حسنها الذي به قمر المسرة طالع، فرأيت غالب البلدة خراب، من ظلم الأمراء". فقال شعراً مرتجلاً حزيناً متأسفاً عند وداعها:

فقل لعينيك تبكي عندها أسفا يحق للعين أن تهمني مدامعها  
واستنجد الصبر إن ودعتها سحرًا فللنفوس جوى ممن يودّعها

وصفه اسدود: وحينما حلّ اللقيمي في اسدود، زار ضريح الولي الصالح إبراهيم المتبولي الأنصاري  
ت ٨٧٧هـ " ارتجل شعراً منه:

بأسدود وادي القدس طاب نزولي فيها ضريح العارف المتبولي  
وكحلت عيني من ثرى أعتابه ولثمتها بالجفن عند دخولي

وصفه الرملة: "في أرض سهلة، كثيرة الأشجار والنخيل، وحوها كثير من المزارع والمغارس،  
وفيها أنواع الفواكه". " وكان حوها أربعة آلاف ضيعة...، وقد بنى الملك الناصر منارة من  
عجائب الزمان، في الهيئة والعلو سنة ٧١٨هـ " وأول ما بدأنا بزيارة الجامع الأبيض الأنيق "  
وصف يافا: " ظريفة على ساحل البحر، بظاهرها بساتين ذات أشجار وأنهار وفواكه وأزهار، فما  
زلت أردد طرف الطرف في رياضها الأنيقة، وأروح الروح بلثم ثغور زهورها العبيقة" وقال  
شعراً:

وافيت يافا وزهر الروض مبتسم وللطيور على العيدان نغماتُ  
وكم قضيتُ بها والصحب من تفتٍ وقد حَلَّتْ لي وكم مرّت أويقاتُ  
بها اقتبستُ بنور القلبِ نور هدى كأنها لكليم القلب ميقاتُ

هيامه بالقدس الشريف، وثوران لواعجه لرؤياها: ولما لمح طَرْف القدس التليد، هزت القدس  
أعماق مشاعر اللقيمي الشاعر، والصوفي الرقيق، فقال: "فلاحت لنا مشارق الأنوار، وبسّر الزائر  
بقرب المزار، وفاح عَرَف نسيمها من جانب الرُّبا، فتمايل المشوقُ شوقاً وطرباً، وأنشد" من شعر  
له:

بشراك بشراك وادي القدس قد لاحا وطبي نشر الشذا من دوحه فاحا  
وأشرق من طوره الأسنى ضياء سنئ يهدي الهدى لكليم الروح إذ لاحا  
وأشرق من سما الصخرا بوارقها تروي حديث الشفا للسرر إيضاحا

وعند دخوله المسجد الأقصى الشريف، هاجت لواعج الشعر مراتٍ ومرات، منها قوله:  
يا حبّذا المسجد الأقصى له الشرف من جاءه زائراً تهدي له التحفُ  
فيه تضاعف أعمال التقى درجاً فالناسكون لهم في ذاك مزدلفُ



كأنه فلكٌ والعاكفون به بدورٌ تمّ علاها السعدُ والشرفُ  
يا طال ما ذكرت عندي محاسنه حتى بدا فبدالي فوق ما وصفوا

ووصف المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وعدّد فضائل الأحاديث في الزيارة وشدّ الرحال، وعدّد  
البقاع التي زارها في القدس وقراها، وما أكثرها، وشحن رحلته بفوائد جمّة، لا يتم معرفتها إلا  
بالوقوف على كتابه، وقراءة ما فيه من دُرر الكلام، وعيون الشعر العربي.

للأنبياء مشاهد مشهودةً بالمسجد الأقصى — الرفيع المعهد  
بيمين صخرته شهود المصطفى للحوادث ربّات الجمال المفرد  
وإذا وصلت إلى حمأة فاغتنم صفو الزمان وفرصة المتعبّد  
واكحل جفونك من ثرى أعتابه فبه الشفاء لكلّ طرّفٍ أرمد  
وانظر له ببصيرةٍ مملوءة لثرى الحقائق من علاه تبتدي  
واشرب من الكأس المروق مشرباً كالسلسيل الصّرف عذب المورد

وعندما حان فراق القدس محبوبة اللقيمي، بكأها بكاء الوهّان، وسحّ عليها دمعه الهتان. قال:  
فصليت ركعتين بالمسجد مودعاً، وأضحى الفؤاد بفراق هاتيك المآثر مروعا، وخرجت من  
المسجد الشريف باكياً، ولاعج الغرام بالقلب أمسى زاكياً". وقال شعراً:

سَفْحُ الجفون لذي الصبابة فاضحٌ والعذر في سحّ المدامع واضحٌ  
غَلَبَ التشوّفُ والتشوّقُ والجوى فإذا العيونُ من الغرام سوافحٌ  
إني ألام وقد تجاذبني الهوى والشوق للبيت المقدسٍ طافحٌ  
فارقته واديه المبارك حوله وعيون أشجاني إليه طوامحٌ  
أرجو الإياب لسوحي السامي الذرا ليلوح لي بالبشر منه لوائحٌ

وصف الخليل: زار وعيونها، ومعالمها الدينية والتاريخية. قال من قصيدة طويلة:

هذا الحماي طاب منه المشهدُ فيه سنا سرّ النبوة يشهدُ

لاحت ضيا الأنوار من أرائه فكأنها هو كوكب يتوقد  
يسموبه الغار الشريف كأنه فلك به كم لاح فيه المشهد  
ومشاهد فيها الجمال مُشاهد والحس يقضي والشواهد تشهد

وفي زيارته لمقام النبي موسى عليه السلام، تفاعل اللقيمي معه تفاعلاً شديداً، وهام مع تجليات  
قوله تعالى: ﴿ وألقيت عليك محبة مني ﴾ فارتجل قصيدة طويلة، منها:

إذا القلب المشوق غداً كلياً فيمّ وادياً يحوي الكلياً  
وشاهد روضة فيها مقام على هام السماء لقد أقام  
فمن ألقى إذ تتلى المثاني به سرّ المحبة قد أديماً  
فمرغ في ثرى الأعتاب خدّاً وسحبُ الدمع أرسلها سجيماً

وتركت زيارته لنابلس ومعالمها آثاراً ومحبة في قلبه، قال: " وما زلت أروح النفس في رياض تلك  
المدينة، وأنزه الطرف في عرائس مروجها المتحلية من الأزهار بالجواهر الثمينة، وأنتشق عرف  
نسيمها العليل، وأرتشف من عيونها سلافاً يبريء العليل، وأتفكّه بمحادثة لطائفها، وأشنّف  
السمع بدرر منظوم أدبائها. وهي معتدلة الهواء، تناسب للطفافة أهل الجوى".

ووصف مسجد الخضراء، فقال: " ذهبت إلى محل يقال له الخضرة، مقصود للزيارة، وله في تلك  
الناحية شهرة، وبه بستان يانع الأزهار، رحب الجنبات كثير الثمار، ومن بديع حسنه النفيس، أن  
بداخله مسجد أنيس".

ووصف جنين وأعجب بجامعها، فقال: "مسجد قد كساه الجمال جلباباً، ترى الروض محيطاً  
بجوانبه، والماء جارياً في مشارق الخان ومغاربه" وقال شعراً:

يا حيناً يوماً بجنين مضيء كالغرة البيضاء في وجه الزمن  
فيه ثلاث للسرور تجمعت الماء والخضرة والوجه الحسن

لقاؤه بالعلماء ووصف مجالسهم:

شيخه البكري الصديقي: مع دخول اللقيمي القدس، كان اللقاء الأول بالشيخ الصديقي أشهر مشايخ الطرق الصوفية، فقال عنه: "فاق بحسن سيرته النجوم الزواهر، وبجميل طلعتة البدور النواضر، الراسخ في العلم الإلهي، المكاشف عن أسرار الحقائق كما هي، أستاذ كل أستاذ وملاذ كل ملاذ". ثم التقى الشيخ الإمام الفقيه محمد الخليلي، قال عنه: "رأيت الأنوار منه تلوح، وروائح الأنس حول حماه تلوح". وقال عنه: "مجمع بحريّ الشريعة والحقيقة، خلاصة أصحاب العلوم" وقد أجاز به بكل مروياته. وقال فيه شعراً:

يا سائلي عنه لما جئت أمدحه هذا هو الرجل العاري من العارِ  
رأيتَه فرأيت الناس في رجل والُدهر في ساعة والأرض في دارِ

وفي مجلس علمي ضمّ اللقيمي ورئيس خطباء المسجد الأقصى والشيخ الصديقي، تذاكر معهم الصديقي في مقتطفات من الرحلة العراقية، فيها أحاديث عن أجزاء العلم، وأنه أربعة أجزاء. وتذاكر مع علماء المسجد الأقصى مباحث في التوحيد، وعلم المنطق. واستشهد ببيتين من الشعر، يبينان، فضل التدارس بالنافع المفيد.

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان في قيل وقالِ  
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حالِ

وتذاكر اللقيمي مع شيخه الصديقي حكماً من الحكم العطائية لابن عطاء الإسكندري العالم المشهور. وكان له تذاكر آخر من تفسير السهيلي، صاحب السيرة المشهورة. وكانت للقيمي في المسجد الأقصى مدارسات مع الشيخ أحمد المؤقت العلامة المحدث المالكي الحنفي، وذلك حول تاريخ القدس.

وذكر مجلساً للشيخ الدغستاني، وقال: "فلا يخلو مجلسه من حكمة يديها، ووصية من وصايا القوم يروها". واجتمع مع المفتي أبي بكر العلمي "فخر المدرسين الأنجاد، الفاضل البارع، والكمال المتواضع، وارث الفضل والمجد والحقيقة" وتدارس معه بشرح الأربعين للعلامة الشبرخيتي.

واجتمع بالشيخ الزاهد عبد المعطي الشافعي الملازم للمدرسة النحوية، فلا يخرج منها إلاّ الحاجة ضرورية. وحّدته بوصايا للشيخ الكبير عبد القادر الجيلاني.

التقاء الشيخين العلمين الصديقي والخليلي في يزور. وهذا لقاء عظيم بين علماء ذلك العصر- في تلك البلد، قال اللقيمي: "ورد مولانا الشيخ الخليلي، وصحبته جماعة من أهل الصلاح، قاصداً يافا بعزمه السديد، إلى تمام عمارة مسجدها الجديد، فلما أن رأى حضرة الأستاذ - الصديقي - بهذه القرية مقيم، نزل بها فحصل لنا بذلك ممن الحظ الجسيم". ثم قال: "وبعد صلاة العشاء وقراءة وردها والأذكار استفتح مجلس الذكر، وبعدما انقضى مجلس الذكر وانختم، جلس هو - الشيخ الخليلي - وحضرة الأستاذ - الصديقي - فأجريا ذكر الحكم العطائية، وما فيها من المعارف الربانية، ... ثم أخذ حضرة الأستاذ يحدث عن السادة الوفية، وما ورد في أوصافهم في الرسالة القشيرية" واجتمع بالشيخ السفاريني، قال: "وبعد صلاة العشاء بهذا المنزل الرحيب - مقام الشيخ عليل بن عليل -ورد علينا العمدة الفاضل المتحلي بحلل الفضائل والفواضل، مولانا الشيخ محمد السفاريني، المتقدم عند أهل تلك الناحية، وفي قومه محب، فتحلى الناظر بطلعته، واستأنس القلب بمحادثته" وتذاكر معه في شيء من كتبه، ومدح أحد كتبه قائلاً:

ومجموع حوى عقداً بديعاً وحاز لطائفاً من كل فنّ  
إذا طالعتّه يوماً وعنّدي هموم أبعدت في الحال عنّي

وبعد، فإنّ رحلة اللقيمي زاخرة بالمعاني والعبء، وفيها حكايات ذات مغزى، وهي بليغة القول، ورائعة الشّعْر، من أحبّ أن يطّلع على أدب ذلك الزمان، وعلماء ذلك الأوان، ورفيع أخلاقهم، واحترامهم وتقديرهم لبعضهم، فسيجد في هذه الرحلة الخير الكثير. فاللقيمي موهوب، صوّر الوقائع بلسان بليغ وقلم سيّال. ولا يفوتني هنا أن أقول: إنّ شعر اللقيمي في رحلته والذي قاله في غير رحلته يستحق الدراسة والبيان، فهو عذب رقيق وصادق لطيف. رحمه الله تعالى، وجزاه عنا خير الجزاء.

## الهوامش

- ١- المرادي، أبو الفضل محمد بن علي. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. تحقيق مصطفى عمارة. دار ابن حزم. بيروت. ١٩٨٨. ج ٤ ص ١٥٥، ١٦٦. وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين. مكتبة المثنى. بيروت. ١٩٥٧. ج ١٢ ص ٢٤٠. زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية. ١٩٣١. مطبعة الهلال. ج ٣ ص ٣٢٦.
- ٢- المرادي، ج ٤، ص ١٦٦، اللقيمي، موانح، ص ٢٨ من المخطوط.
- ٣- اللقيمي، مصطفى، موانح الأنس، ٣٠. وابن غانم البوريني المقدسي عالم ولاء السلطان صلاح الدين مشيخة الخانقة الصلاحية بالقدس الشريف، وتوفي في دمشق عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م. كحالة، ج ٧، ص ١٩٥.
- ٤- سعد بن عباد الخزرجي: صحابي جليل شهد بيعة العقبة الثانية، وكان أحد النقباء الإثني عشر، خرج مهاجراً إلى بلاد الشام، وتوفي في حوران عام ١٥ هـ / ٦٣٦ م. ابن سعد، محمد بن عبد الله، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠ م، ج ٧، ص ٣٨٩.
- ٥- كحالة، ج ١٢، ص ٢٤٠.
- ٦- ينظر: ص ٧٣.
- ٧- دمياط: مدينة في شمال مصر. - المرادي، د شفيق، وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ١٩٩٥ م، ج ١، ص ٨٠٣.
- ٨- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥.
- ٩- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص ٣٠٥.
- ١٠- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥.
- ١١- المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٦. ومصطفى الصديقي البكري: يعد الشيخ مصطفى قطباً مجدداً في الطريقة الصوفية الخلوتية، وله آثار ومؤلفات كثيرة متنوعة، وله أثر على حركة التصوف والحركة العلمية والعلماء في فلسطين، ورحلاته إليها. وتوفي البكري سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م. المرادي، ج ٤، ص ١٩٠.
- ١٢- الطريقة الخلوئية: الطريقة الخلوئية الجامعة الرحمانية، والتي كان يطلق عليها في الأصل اسم الدينورية نسبة إلى ممشاد الدينوري، ومن ثم سميت باسم السهروردية نسبة إلى مشايخ السهروردي، ومن ثم

سميت بالخلوتية نسبة إلى مشايخ الطريقة الخلوتية الذين اشتهروا بهذا الاسم لاشتهارهم بتربية المريدين عن طريق الخلوة، وانتشرت هذه الطريقة في بلاد الشام ومصر والحجاز. وقامت ببناء أكثر من خمسين مسجداً في مختلف القرى والمدن الفلسطينية، وتعتبر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ومرافقها العلمية في باقة الغربية من أعظم وأبرز إنجازات الطريقة الخلوتية وقد تأسست الكلية عام ١٩٨٩م. القاسمي، الشيخ عفيف بن حسني الدين، الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، ص ١-٦٥.

١٣- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥.

١٤- الكتاني، عبد الحى، فهرس الفهارس الأثبات، باعتناء د. إحسان عباس، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، ج ١، ص ٤٨٥.

١٥- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥، ١٥٤.

١٦- المصدر السابق، ج ٤ نص ١٥٥.

١٧- الجبرتي، ج ١، ص ٣٠٥.

١٨- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥، ١٥٤.

١٩- الجبرتي، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

٢٠- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥، الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ٦، بيروت، ١٩٨٤ م، ج ٧، ص ٢٥٩، كحالة، ج ١٢، ص ٢٤٠.

٢١- المرادي، ج ٤، ص ١٥٥. واستمرت رحلته هذه لمدة ستة أشهر، ينظر: زيدان ٣/٣٢٦. والصواب سبعة أشهر.

٢٢- المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

٢٣- المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

٢٤- المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

٢٥- المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

٢٦- المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥.

٢٧- كحالة، ج ١٢، ص ٢٤٠.

٢٨- المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٤١.

٢٩- الجبرتي، ج ١، ص ٢٨٥.

٣٠- الزركلي، ج٧، ص٢٢٩.

٣١- المرادي، ج١٦٦، ٤.